جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)
Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 2015-5845

ر ت م د إ: 537X-6202

أثر الاختلافات اللهجية في الخطاب العربي الفصيح

The effect of dialectal differences in eloquent Arabic speech

أ.ياسين مدّان

جامعة الجزائر01-الجزائر

yacinemeddane7@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2019-01-01	2020-08-28	2020-12-31

المرجع: أ.ياسين مدّان، « أثر الاختلافات اللهجية في الخطاب العربي الفصيح »، التواصلية، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 473-494.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294

المنارة للاستشارات

أثر الاختلافات اللهجية في الخطاب العربي الفصيح

The effect of dialectal differences in eloquent Arabic speech

أ.ياسين مدّان

جامعة الجزائر 01-الجزائر

ملخص:

تتناول الدراسة طبيعة المتداول اللغوي للعربية من منظور التلوينات والتنويعات الأدائية التي تجريها الألسنة عند الاستعمال، في الحياة اليومية العادية، وقد نشأ نتيجة هذه الظاهرة، مستويان للخطاب، مستوى الفصيح، بما يتماشى والقواعد النحوية المحدّدة من قبل العلماء الأوائل، ومستوى العامّي الذي يجمع بين أفراد الأسرة، والأصدقاء وجميع فئات المجتمع خارج الإطار التعليمي بمختلف مستوياته.

فهل نحكم على هذه الظاهرة بالسلبية من زاوية أنّها تشوّه جوهر اللغة الفصيحة السليمة، أم هي ظاهرة طبيعية تشهدها جميع اللغات الحيّة؟وما مدى تأثيرها في وظيفية اللغة العربية وتطوّرها؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية الفصحى;اللهجات العربية;الازدواجية اللغوية;الاستعمال اللغوي ;الوحدة اللغوية ;

Abstract :

This study deals with the nature of the linguistic rolling in Arabic from the perspective of the variations made by the tongues when using, in normal daily life, and as a result of this phenomenon, two levels of discourse appeared, the level of articulation, in conformity with the grammatical rules set by the first Arabic grammarians and scholars, and the level of the colloquial, which brings together family members, friends and all groups of society outside the educational institutions at theirs various levels.

Do we judge this phenomenon negatively from the standpoint that it distorts the essence of fluent Arabic, or is it a natural phenomenon that all living languages witness? And what is the extent of its influence on the function and development of the Arabic language?

Keywords: Classical Arabic; Arabic dialects; Diglossia ; Linguistic use; Standard Arabic Language.

المنارة للاستشارات

ليست اللغة مجرد أداة للتوصيل بل هي الفكر[1]، هو يتحدّث بها، وهي تعبّر عنه ومن خلاله باعتبارها أرقى وسائل الاتّصال والتواصل التي تميِّز الإنسان عن بقيّة المخلوقات. وعندما نقول أن اللغة تتألف من مجموعة أصوات فإننا نخرج من دائرتها كل واسطة اتصال أخرى لا تعتمد الصوت مادة مكوّنة لها. فالنظام الخطي الذي يتألف من رموز مطبوعة أو مكتوبة ليس لغة وإنما تمثيل للأصوات اللغوية، يتوقف نجاحه وفشله على مدى محاكته للغة المنطوقة وأمانته[2].

ثمّ إنّ اللغة ابنة المجتمع، تتطوّر بتطوّره، وتتأخّر بتأخّره. لذا تختلف الحصيلة اللغوية لمجتمع ما من فترة زمنية إلى أخرى تبعا للظروف التاريخية، والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي يمرّ بها ذلك المجتمع.

أمّا اللهجة، فهي رافدٌ للغة يمثِّل الصورة الأدائية لها. ويتمّ بها كلام جماعة من أبناء المجتمع الواحد ،في بيئة طبيعية اجتماعية، غير منقطعة عنه فكريا وحضاريا، (وكان العربي يتكلم مع أفراد قبيلته باللهجة الخاصة به، فإن نظم شعرا أو دبج خطبة ليلقيها في حفل يضمّ أفرادا من قبائل مختلفة، عمد إلى اللغة المشتركة)[3].

---

[1] وزارة التعليم العالي والبحث لعلمي – الصوتيات بين التراث والحداثة – البليدة – 2004 م _ ص 9.

[2] عبد السلام المسدّي – اللسانيات ، من خلال النصوص – الدار التونسية للنشر – 1984

[3] إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ-2006م، ج7، ص 593.

المنارة للاستشارات

وجدير بالذكر أنّ الازدواجية اللغوية تختلف عن الثنائية اللغوية في كون هذه الأخيرة تدلّ على (استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معيّنة للغتين، مثل استعمال الفرنسية والألمانية في أجزاء من سويسرا)[1].

وهنا نتساءل: ما مدى الصلة بين النهر والرافد ؟هل هما متعارضان مختلفان ؟ أم أنّهما متلاقيان منسجمان ؟

استعمل اللغويون القدامى لفظ (لغة) للتعبير عن اللغة العربية، وفضّلوا هذا اللفظ على اللهجة التي تتميزّ بها كل قبيلة عربية عن غيرها من القبائل.

أما اللسانيون المحدثون، فنراهم يميّزون بين اللغة والكلام. وإذا قارنا بين الثائية (لغة، كلام) والثنائية (نظرية، واقع) فإننا نرى أن اللغة تنتمي إلى النظرية، والكلام ينتمي إلى الواقع[2].

وإذا كان العلماء القدامى قد أكثروا من استعمال لفظ (لغة) بمعنى (لهجة) فإنهم قد استعملوا كذلك لفظ (لسان)، وهم يريدون به المعنى الذي يريده المحدثون من لفظ (اللغة).

[1] حنا، سامي عيّاد وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1997م، ص 131.

[2] مصطفى حركات – الصوتيات والفونولوجيا – دار الآفاق – الجزائر .

المنارة للاستشارات

فإذا وضعنا في اعتبارنا ما درج عليه علماء العربية في التدرج بالقبيلة من الكثرة إلى القلة، أو من الأصول إلى الفروع، لقلنا إن (اللسان) كثيرا ما يراد به لغة العرب جميعهم.

فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات).[1]

وإذا كانت اللغة الإنسانية الشفوية أسبق من المكتوبة، فإنّ اللغة المخطوطة مع ذلك لم تقض على اللغة المنطوقة وظلت الاثنتان متصارعتين دون أن تحتوي إحداهما الأخرى، وهكذا بقيت إحداهما طبيعية وشبه ثابتة في نسقها العام والمعتاد ،واكتفت الأخرى بأن تكون اصطناعية تحاول أن تؤول إلى نظام ثابت، شامل، وقار[2].

فاللغة ظاهرة اجتماعية حيّة، تشهد نموّا وتجدّدا مع مرّ العصور، وظاهرة النمو الذاتي للغة هي التي تمكّنها من الاستمرار في أداء وظيفتها التواصلية، سواء كان الأمر بظاهرة التغيّر الدلالي، أو ظاهرة التغيّر اللفظي، أو بظواهر صوتية متنوعة مثل الإمالة، أو التفخيم، بالقلب أو الحذف، وما إلى ذلك. وقد شهدت العربية

---

[1] محمد رياض كريم، التركي، المقتضب في لهجات العرب، للكومبيوتر وطباعة الافريست، طنطا، 1996م، ص 57.

[2] عبد الجليل مرتاض – اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي) – دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر –

المنارة للاستشارات

الفصحى، عبر الأزمنة المتوالية، ميلاد لهجات وأشكال تعبيرية تعايشت معها لفترات طويلة، ولأسباب تاريخية أو جغرافية أو اجتماعة أو تعليمية أو غير ذلك كلّه. وكلما ابتعدت اللهجة عن الفصحى، كلما ظهر الشرخ الذي لا ينبغي أن يكون لو تعاملنا مع اللهجة باعتبارها كيفية وتنويعا للغة الأصل، خاصة إذا كانت تلك التلوينات من صلب اللغة الفصحى.

والازدواجية اللغوية لا تخص العربية دون غيرها من اللغات، هي ظاهرة طبيعية ناتجة عن نموّ اللغة، أي كانت، وتطوّرها عبر العصور للمواكبة الفكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية. وهي تدلّ على (وصف لغوي مستقرّ نسبيا، يوجد فيه بالإضافة إلى اللهجات المستعملة في المحادثة العادية، نمطٌ فوقيّ عالي التشفير، يستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية).[1] والتعايش بين اللغة العربية واللهجات في مختلف المجتمعات تدخل في هذا الإطار.

والجدير بالذكر أنّ اللغة العربية الفصحى تمثل أعلى المستويات اللغوية ممثلة في القرآن الكريم، والشعر القديم. والفصيح: الخالص من الشوائب [2]. والقول بالشوائب قول بالعيوب واللحن. وهذه اللغة هي غاية المؤلف الأدبي، ونموذجه المثالي في الكتابة، كما تمثل المستوى الأعلى للغة الموحدة بين جميع العرب، مهما اختلفت

---

[1] القعود، عبد الرحمن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مطابع التقنية للأوسفت، الرياض، ط1، 1997م، ص 104.

[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية، تحـ: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، 1990م، ج1/ ص 391 (مادة فصح).

المنارة للاستشارات

بيئاتهم الجغرافية، وباعدت بينهم الأزمنة، وفرّقتهم الأنظمة الوضعية من سياسات مختلفة، أو مصالح متصادمة.

(تعرّف اللغة العربية على أنّها لغة الكتابة التي تدوّن بها المؤلفات والصحف والمجلات، وشؤون القضاء والتشريع والإدارة، ويؤلّف بها الشعر والنثر الفنّي، وتستحدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات)[1].

ويؤكد علماء اللغة أنّ من أهمّ مميّزات اللغة العربية الفصحى: الاشتقاق، ويعني (اقتطاع فرع من أصل، تدور تصارفه حول حروف ذلك الأصل، وأخذ كلمة من أخرى بتغيير ما، مع التناسب في المعنى، وردّ كلمة إلى أخرى لتناسبها في اللفظ والمعنى، ونزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة)[2]. ونجد أيضا الإعراب ويعرّفه **ابن جني** بقوله: (هو الإبانة عن المعاني. ألا ترى أنّك إذ سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر بان لك الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه)[3]. كما يفصّل فيه عباس حسن بقوله: (تغيّر العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغيّر العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كلّ عامل)[4]. وإلى جانب الاشتقاق والإعراب، يوجد كثير من الخصائص التي تمتاز بها اللغة

---

[1] أنور وجدي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1982، ص 7.

[2] إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار الثقافة الإسلامية، بيروت، د.ت، ص 186-187.

[3] ابن جني – الخصائص –الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1- ص89.

[4] حسن عباس، النحو الوافي، دار المعرف، القاهرة، 1963، ج1، ص 44.

المنارة للاستشارات

العربية عن غيرها من اللغات، من ألفاظ وتراكيب، وصرف ونحو، حتى قيل أنّها (أفضل اللغات وأوسعها) [1].

وإذا كان العرب قديما قد تكلموا لغة مثالية بفعل السليقة، فإنّ التاريخ يؤكد وجود اللهجات العربية متزامنة مع تلك اللغة. يقول صبحي الصالح في الموضوع: (والوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقواها قرآنه بعد نزوله، لا تنفي ظاهرة اللهجات عملياً قبل الإسلام وبقاءها بعده، بل من المؤكد أنّ عامّة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى اقالمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألحانهم)[2].

ويجمع أغلب علماء العربية على أنّ القرآن الكريم نزل بلغة قريش التي كانت أفصح العرب لسانا، وأنقاهم لغة.

أمّا اللهجات الأخرى فقد اتّصفت بمجموعة من الخصائص، والظواهر اللغوية من مثل:

– (الكسكسة: وهي في ربيعة ومضر، يجعلون بعد الكاف أو مكانها ف المذكر سيناً، رايتس، عليس. – الكشكشة: وهي في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون: رأيتكشن وبكش، وعليكش.

---

[1] السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، 1978م/ 1408هـ، ج1، ، ص 321.

[2] صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م، ص 60.

المنارة للاستشارات

– العنعنة: وهي كثير من العرب في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في إنّك عنّكن وفي أسلم عَسْلم.

–الفحفحة: وهي لغة هذيل، يجعلون الحاء عيناً، مثل مَعْ مَحْ.

– الوكم، في لغة ربيعة، يقولون: عليكم وبكِم، حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة.

– العجعجة، في لغة قضاعة، يجعلون الياء المشدّدة جيماً يقولون في تميميّ، تميميج.

– الاستنطاء، في لغة سعد بن بكر، وهذيل والأزد، وقيس، والأنصار، تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كـ أنطى في أعطى

– الوتم في لغة اليمن، تجعل السين تاء كـ النات في الناس

– الشنشنة في لغة اليمن، تجعل الكاف شيناً مطلقاً كـ لبيش أي لبيك) [1].

وإذا كان بعض علماء اللغة من المتشدّدين يرفضون الاحتجاج باللهجات، ومنهم **الفراء** و**الأصمعي** و**ابن قتيبة** فإنّ فريقا آخر أجاز ذلك، وجعلها مقياسا للصواب اللغوي، ومنهم **ابن جني** الذي ضمّن كتابه الخصائص، (باب اختلاف اللغات وكلها حجّة)[2]. وقد ساهمت اللهجات العربية القديمة في التقعيد للعربية الفصحى، بدليل أنّ **سيبويه** احتجّ بكثير من اللهجات واصفا إيّاها بالجيدة أو الحسنة.

---

[1] الموسى، نهاد، قضية التحوّل إلى الفصحى ف العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م، ص 55.

[2] الخصائص، ج2، ص 10.

المنارة للاستشارات

وقد وافقت القراءات القرآنية كلام العرب ولهجاتهم (والقراءة الشاذة التي منع القرّاء قراءتها في التلاوة يحتجّ بها في اللغة والنحو، إذ هي على كلّ حال أقوى سندا وأصحّ نقلا من كلّ ما احتجّ العلماء من الكلام العربي غير القرآن)[1]. أمّا في المسائل اللغوية والنحوية فكان الاحتجاج باللهجات واسعاً، بل كان الإقرار بوجودها في تخريج بعض القضايا التي لم توافق القواعد اللغوية العامة. ويذكر **السيوطي** من ذلك، أنّ **أبا عمرو بن العلاء** قيل له: (ما تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر وأسمِّي ما خالفني لغات) [2].

من هذا، يتّضح أنّ الازدواجية اللغوية، بين المستوى اللغوي الفصيح والمستوى اللهجي ليست وليدة العصر، وإنما هي سيرورة تاريخية ألحقت بالخطاب الشفوي تغييرات كثيرة نتيجة لعوامل متداخلة من جغرافيا، وتاريخ، وثقافة، وخصائص بيئية، وسياسية وغير ذلك. علماً أنّ لغة الكتابة والتأليف نجت من تلك العوامل مجتمعة، ويعدّ نزول القرآن الكريم بلسان عربيّ فصيح من أهمّ الأسباب التي حفظت للعربية كيانها، وضوابطها، **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** [يوسف/ الأية 2] .

والإيمان العميق من قبل العرب بأن اللغة العربية هي لغة القرآن وهي قوة ثقافية وحضارية متميزة عن اللغات، إلى جانب الإيمان بالتاريخ الحضاري للإسلام،

---

[1] الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ/1994م، ص29.

[2] السيوطي ، المزهر في علوم اللغو وأنواعها، ج1، ص 221.

المنارة للاستشارات

وبمشروعية ترقية اللغة العربية والعمل على تطويرها والدعوة إلى عالميتها، من شأنه أن يكشف العلاقة الوطيدة بين الناطقين بالعربية لأن خاصية الإدماج خاصية من خاصيات اللغة. وما علاقة الفصحى باللهجة المستعملة إلا تجسيد لها ،حيث أن اللهجة تدفع الفصحى إلى ميدان التخاطب والتعامل والحوار مخففة من بعض الضوابط والقيود التي من شأنها أن تحدّ من فضاءات استعمال العربية الفصيحة .

يقول **عبد الرحمن الحاج صالح** في ذلك: (وما من لسان في الدنيا إلا وفيه هذان المسلكان بالنسبة لمستعمليه:

1- حالة انقباض المتكلم وشدّة عنايته بما يفوه به من ألفاظ وما يحدثه من صياغة، وهذا تقتضيه حرمة المقام كما قلنا. فالمثقف العربي الغيور على لغة القرآن لا يستعمل في هذه الحال إلا الفصحى.

2- حالة تبذل واسترسال، وهذا يحصل في مواضع الأنس والاسترخاء، ولا نعرف عربيا يستعمل في هذا المقام غير العامية، إلا من شذّ شذوذا كبيرا) [1].

فهذان المستويان اللغويان غير منقطعين عن بعضهما، بل الثاني مبني على الأول، لكنه يتعرّض للتحوّلات جرّاء ما يعيشه المتكلمون من تأثيرات. فهو يأخذ من الفصحى ونظامها النحوي ومعجمها وأصواتها. ولكن ينحرف قليلا أو كثيرا،

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات الحربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ج1، ص 69-70.

المنارة للاستشارات

حسب المواقف ليعبِّر عن أوضاع تعنّ للمتكلِّمين به، فيحدث انحراف على مستوى معيّن حسب المناطق والبيئات.

فالاستعمال وتداول العربية في الخطاب اليومي والعفوي من شأنه أن يحافظ على العربية، بأن يدفع الفصحى إلى ميدان التخاطب والتعامل والحوار مخففة من بعض الضوابط والقيود التي من شأنها أن تحدّ من فضاءات استعمالها، بما يلحقها من استخفاف واقتصاد، تقليلا للمجهود العضلي، وتحقيقا لسرعة الأداء الفكري والتواصلي معا، ودفعا لها للتطوّر والنموّ ومسايرة الزمن وتغيّراته.

والخطاب العفوي مجال طبيعي وخصب للتواصل خاصة إذا اعتمد مرونة التركيب، ودلالة السياق، وتقدير المحذوف، واختزال المطوّل، وعبقرية الصيغة. هو فضاء واسع للاستعمال من أجل تحقيق مختلف الأغراض الحياتية دون التقيّد بالتزامات تتخفف منها العربية الفصحة في عصورها القديمة. (فكلما كان المقام مقام أُنس كان المتكلم إلى حذف ما هو غنيّ عنه لإبلاغ مراده أميل وأكثر اِرتياحاً. وهذا هو بالذات ما يمنح للغة حيويتها. وقد كانت الفصحى التي دوّنها اللغويون العرب الأوّلون تتصف بهذه الصفة. وأكبر دليل على ذلك كثرة ما سجّله أولئك اللغويون من العبارات المختزلة ذوات العناصر المضمرة وكثرة ما ورد في كتاب سيبويه وكتب القراءات من شواهد الاختلاس والتسكين والتخفيف للهمزة

المنارة للاستشارات

وحذفها والإدغام والإبدال والقلب ممّا لا سبيل إلى وجوده في اللغة التي يتعلّمها الطفل في المدارس واللغة الفصحى التي يلتقطها في الغذاعة والتلفزة وغيرهما.)[1]

وظاهرة النمو الذاتي للغة هي التي تمكّنها من الاستمرار في أداء وظيفتها التواصلية. وقد شهدت العربية الفصحى عبر العصور المتوالية، ميلاد لهجات وأشكال تعبيرية موازية للغة العربية دون أن تشكل خطرا عليها لأنّ الأمة العربية كانت كيانا موحدا، لها حدودها المترامية الأطراف، ولكنّها تستظل تحت راة واحدة موحدة.

ولكنّ واقع اليوم يشهد صراعا غير مسبوق تاريخيا، فالأمّة العربية منقسمة إلى دول عديدة منقطعة الصلات، متصادمة المصالح، متباعدة الثقافات، لا يفهم المشرق منها كلام المغرب، بل وفي المغرب تختلف لهجة الجزائري عن لهجة المغربي، والتونسي. بل وفي الجزائر نفسها أداءات لغوية متباينة تكاد تخلق حدودا بين أبناء المنطقة الواحدة. ومما يزيد الأمر سوءا ارتفاع الأصوات باستخدام العامية، واعتماد الحرف اللاتيني في الكتابة، وإلغاء نظرية العامل، وغيرها من الدعوات المحاربة للغة العربية، ووحدة الأمة العربية بحجّة التيسير اللغوي والنحوي.

وبين دعاة العامّية، الذين يتّهمون العربية الفصيحة بالجمود والصعوبة، وبين دعاة الفصحى، الذين يفرضون على لغة العامّة قواعد وأسس لا يفهمها السواد الأعظم من الناس، تبتعد العربية الفصيحة عن مجال الاستعمال اليومي تدريجيا، لتنزوي

[1] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 68.

المنارة للاستشارات

على الرفوف، وبين دفات المعاجم والقواميس، يغطيها الغبار، وتنسج العناكب حولها خيوطها، إلا من مصاحف القرآن الكريم وألسنة المصلين والمرتلين، وقلوب الغيورين المستضعفين. فإذا دخلت المؤسسات التعليمية فزائرة مستثقَلة، وإذا رفعت على منصات الخطاب فشعرا أو محاضرة أكاديمية لها توقيتها المحدّد بنهاية معجّلة، وإذا خاطبتها العلوم والتكنولوجيا، أسكتتها ألسنة معوجة، لا تتقن الأجنبية، ولا تبين بالعربية، متهمة إيّاها بالتخلف والعجز عن مواكبة العصور.

ومردّ ذلك إلى بُعد العرب عن تفعيل العربية الفصيحة في الخطاب اليومي، وفي هذا يقول **عبد الرحمن الحاج صالح:** (هناك حقيقة قد تجاهلها الناس منذ أقدم العصور وبصفة خاصّة بعد زوال الفصاحة السليقية وهي هذه: إنّ اللغة إذا صارت تُكتسب الملكة فيها بالتلقين، وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط، أو ما يبدو أنّه كذلك، واستهان بما يتطلّبه الخطاب ليومي من خفّة واقتصاد في التعبير وابتذال واسع للألفاظ، تقلّصت رقعة استعمالها، وصارت لغة أدبية محضة، وعجزت حينئذ أن تعبّر عنه لغة التخاطب الحقيقية سواء كانت عامية أم لغة أجنبية) [1].

فالاستعمال العفوي في الواقع التداولي هو الذي يضمن تجذّر العربية في القلوب والعقول ، وتمكنها من الألسنة. وسبيل ذلك هو تقبّل التنوعات اللهجية المتعدّدة، والعمل على تقاربها تدريجيا، وشيوع الألفة بين الأنماط اللسانية المتباينة في الأمة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات الحربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ج1، ص 68.

المنارة للاستشارات

العربة الواحدة، وتنقيتها شيئا فشيئا بفعل الاستعمال الواعي من الشوائب، مع الاحتفاظ بطبيعتها الفصيحة وجوهرها الأصيل.

ولنا أن نتساءل هنا عن الازدواجية اللغوية، هل هي ظاهرة خاصة بالعربية دون غيرها من اللغات؟ وهل يسيغ تعدّد مستويات الاستعمال اللغوي التضحية بالوحدة اللغوية للأمة العربية؟

بداية نستدلّ من التاريخ على أنّه لا لغة في العالم بأسره ذات لون واحد من ألوان الاستعمال. فعبد القادر المغربي يقرّ بأنّ (كلّ لغة فصيحة من لغات البشر لها بجانبها لغة متولدة منها هي اللغة العامية أو اللغة الدارجة)[1]. فالإنجليزية مثلا، وهي لغة العلم الأولى، تشهد تباينا كبيرا بين اللهجة الأمريكية واللهجة البريطانية. فالبريطاني عادة ما يتحدّث ببطء، موضحا الأصوات، محققا أغلبها عند النطق. بينما الأمريكي يتحدّث بسرعة، مخففا الأصوات، غير محقق لها جميعها. من ذلك مثلا صوت a ففي اللهجة الأمريكية تنطق man بالمدّ عكس اللهجة البريطانية، وصوت o ينطق في مثل not بالفتح وكأنّه a عند الأمريكيين، بينما ينطق بالصوت الأصلي عند البريطانيين.

ففي حرف R للهجة الأمريكية فإنهم ينطقونه أينما وجد في الكلمة بينما في اللهجة البريطانية فالقواعد تحدّد بأنّه ينطق حين يكون في أول الكلمة فقط، ففي كلمة door أو الباب لا ينطق حرف R في اللهجة البريطانية. وكذا حرف T ففي

[1] المغربي، عبد القادر، أقرب الطرق إلى نشر الفصحى، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 3، ص 231-238.

المنارة للاستشارات

اللهجة الأمريكية ينطق إذا جاء وسط الكلمة قريبا من حرف ال d أما في البريطانية فهو ينطق كما هو في الأصل. ويتجاوز الاختلاف بين اللهجتين المستوى الصوتي إلى المستوى الإفرادي، فكثيرا ما نتردّد في استعمال sweets (البريطانية) للحلويات أو candy (الأمريكية)، وبين lift أو elevator دلالة على المصعد، وبين holiday و vacation تعبيرا عن العطلة. وقد يصيب الاختلاف بعض القواعد اللغوية مثل استخدام will للمستقبل عند الأمريكيين، و shall عند البريطانيين مع ضمير المتكلم. وكذا في الجانب الصرفي إذ قد تعدّ كلمة (فريق) team جمعا في اللهجة البريطانية، بينما تعامل معاملة المفرد عند الأمريكيين.

ورغم الكثير من مثل هذه الاختلافات التي تشمل مختلف المستويات اللسانية من صوت، ومفردة، وتركيب إلا أنّ اللغة الإنجليزية يُشار إليها دائما على أنّها لغة واحدة، وتلك الاختلافات اللهجية لا تعيقنا في الإقرار بعلميتها وعالميتها ولا تحول دون ارتقائها إلى مصاف البحوث والدراسات والاختراعات المستجدة.

من هنا كان لزاما أن نلتفت إلى التشتت اللغوي الحاصل بين مختلف الدول العربية مخلفا الهوّة ين المشرق والمغرب العربيين، حتى كان من المبكي المضحك أن يتفادى الممثل المشرقي أن يجمعه المشهد بالممثل المغربي لصعوبة اللهجة عند هذا أو ذاك.

وإذا تأمّلنا الأداءات المختلفة بين العديد من المجتمعات العربية، فإنّنا نلاحظ، خاصة بالإنصات إلى إخواننا المشارقة مثلا ،فعبر المشافهة، أو القنوات الفضائية،

المنارة للاستشارات

جملة من الظواهر اللغوية التي تتأسس عليها لهجاتهم، والتي يمكن ذكر ما يلي منها:

– ظاهرة سقوط الإعراب من أواخر الكلمات، مع الوقوف على السكون غالبا، وقد شملت هذه الظاهرة مناطق جغرافية واسعة (تميم، ربيعة، قيس، أسد[1])، وهي ظاهرة لا تلحق بالكلمات في بداية الجمل، الجدُّ والاجتهادْ، ولا بالكلمات المنونة: (طالبٌ وأستاذْ).

– تخفيف الأسماء الموصولة من الذال والتاء غالبا، فنجد (اللي) بدل (التي والذي).

– فشوّ ظاهرة الترقيق، وكأنّ المتكلم يميل نحو الكسر: (الإرادِه، والعزيمِه) وهذا معروف بمصطلح الإمالة خاصة في الكلمات المؤنثة غير المضافة: (محاولِه).

– ويلتقي أشقاؤنا في الأردن وسوريا وغيرهم، في قلب الهمزة هاء لقربهما في المخرج، واشتراكهما في الشدة : (مَيِه) بدل (ماء)، بعد تصغيره. وهم يستبدلون التاء بالثاء تخفيفا (كتير/كثير)،

– تخفيف الهمزة وسط الكلمة (ياكُل من يأكل).

[1] الجندي، أحمد علم الدين – اللهجات العربية في التراث، القسم الثاني: النظام النحوي – الدار العربية للكتاب – طبعة جديدة – 1983 – ص716.

المنارة للاستشارات

– عند اتصال الضمائر بالنواسخ أو الأسماء، لا تحرك الضمائر ويبنى النسخ على الضم (أنُه) مع مد في النطق، فكأنه يصير (أنّو) تعويضا عن الحرف المحذوف (الهاء) مع الاحتفاظ بحركته.

– يُلاحظ أيضا حذف اسم الإشارة، فيقتصر على الهاء اقتصادا، ها للمذكر: (ها السؤال)، وهاي للمؤنث: (هاي الإجابة).

– ومن التلوينات النطقية نجد أنّ حروف الجر تفقد بعض أصولها ،اقتصادا: (علْبيت بدلا عن على البيت) .

– والدلالة على الزمن الحاضر تتم بإلحاق الباء بالفعل: بكتب.

– المبني للمجهول لا يرد عل وزن (يُفعل)، بل على وزن (ينفعل): ينضاف عوض يُضاف.

– القلب في بعض الأصوات: قلب القاف همزة لاشتراكهما في الشدة، (ألب، من قلب).

– وإن كانت هذه التنويعات لا تمس قواعد اللغة في شيء إلا أنّ منها ما يتنافى وأسس العربية الفصيحة، كأنْ ينصب كلّ مثنى حتى في حالة الرفع (نجح الولدين)، وكذا الأمر في توظيف الإعراب في الأعداد ، لكن بالنصب بالياء دائما: (ثمان وتسعين) لخفة النصب، فتحة وما ينوب عنها. ومن ذلك أيضا توظيف النواسخ دون إعمالها.

المنارة للاستشارات

ويبقى جديرا بالذكر أنّ أغلب الظواهر المرصودة في اللهجات العربية تتلخص في الاستخفاف والاختزال، والاقتصاد، وهي ظواهر عرفت لدى العرب القدماء، وميّزوا بها اللغة العربية الفصيحة عن غيرها من اللغات. فاختزال المصوتات، مثل الحركة الإعرابية معروف لدى العرب التي لا تبتدئ بساكن ولا تقف على متحرّك. والاختلاس والحذف والإدغام والقلب والإبدال، والتقدير مظاهر للاقتصاد اللغوي التي تتبني عليها اللغة العربية الفصيحة، والتي يحفل بها كتاب سيبويه، ودعا إليها علماء اللغة الأوائل، من أجل تشجيع المتكلمين على استعمال العربية دون معيقات، لأنّ حيوية اللغة تقاس بمدى شيوعها في التخاطب اليومي العفوي.

وإذن، فرغم تواجد اللهجات العربية، من سورية إلى لبنانية، إلى مصرية، إلى جزائرية ومغربية،، إلا أنّ الهوة مزعومة بين المجتمعات العربية، لأنّ وحدة اللغة، لغة القرآن الكريم، ووحدة الدين الإسلامي، تتختزل المسافات الفاصلة بين الأقطار العربية، والتنوعات اللهجية بينها لا تعدو أن تكون تلوينات أدائية وكيفيات استعمالية لنموذج أعلى، هي اللغة العربية المطواعة والمرنة التي لا مناص من التمسك بها في المتداول الواسع، والحرص على تعليمها للنشء، بأصولها الصحيحة، والعمل على وظيفيتها ضمن الخطاب العلمي والعملي، من ناحية والخطاب العفوي اليومي من ناحية ثانية.

المنارة للاستشارات

وختاماً، نتبيّن مما سبق جملة من النتائج نوجزها في الآتي:

- إنّ ظاهرة التنويع الأدائي للغات ليس خاصا بالعربية، فهو أمر طبيعي ناتج عن التطوّرات التي ينبغي أن تشهدها اللغات الحية مواكبة لمختلف العصور.
- لم تخلُ اللغة العربية القديمة في أوج قوّتها، من معايشة اللهجات المتعدّدة، بمختلف تلويناته الصوتية، والصرفية والتركيبية.
- لم يأنف كثير من علماء اللغة العربية من الأخذ بتلك اللهجات والاحتجاج بها في القراءات، وفي التقعيد النحوي.
- إنّ تعايش اللغة الفصحى مع تعدّد اللهجات لا ينبغي أن ينظر إليه على أنّه يشكل خطرا على اللغة الأصلية إلا بمقدار ما تبتعد تلك الكيفيات عنها، وتنحرف عن قواعدها وأصولها، أمّا إذا كانت الأنهار تصبّ في المجرى الأصل، وترتبط به في مختلف تفرّعاته بما لا يخرج عمّا عرفته منذ نشأتها، من أسس وضوابط، فلا يعدو الأمر أن يكون استجابة لوظيفية اللغة في مستواها الخطابي التداولي.
- القول بطبيعية الازدواج اللغوي لا ينبغي أن يثنينا عن تحقيق سيادة اللغة العربية الفصيحة التي تجمع كل الناطقين بها تحت راية الإسلام وإمرة القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر والمراجع:

1- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحـ: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، 1990م

2- ابن جني ،الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.4

3- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، 1978م/ 1408هـ

4- حسن عباس، النحو الوافي، دار المعرف، القاهرة، .1963

5- أنور وجدي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1982.

6- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار الثقافة الإسلامية، بيروت، د.ت.

7- الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1414هـ/1994م.

8- الجندي، أحمد علم الدين – اللهجات العربية في التراث، القسم الثاني: النظام النحوي – الدار العربية للكتاب – طبعة جديدة – 1983.

9- الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات الحربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.

المنارة للاستشارات

10- الموسى، نهاد، قضية التحوّل إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م.

11- المغربي، عبد القادر، أقرب الطرق إلى نشر الفصحى، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق.

12- صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.

13- عبد الجليل مرتاض – اللغة والتواصل – اقترابات للتواصلين : الشفهي والكتابي – دار هومة – الجزائر – 2000.

14- عبد السلام المسدِّي – اللسانيات من خلال النصوص – الدار التونسية للنشر – النشرة الأولى – 1984.

15- مصطفى حركات – الصوتيات والفونولوجيا – دار الآفاق – الأبيار.

16- القعود، عبد الرحمن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، مطابع التقنية للأوسفت، الرياض، ط1، 1997م.

17- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ-2006م.

18- محمد رياض كريم، التركي، المقتضب في لهجات العرب، للكومبيوتر وطباعة الافريست، طنطا، 1996م

المنارة للاستشارات

19- حنا، سامي عيّاد وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1997.

المنارة للاستشارات